الإمام السجّاد عليه السلام

والمفاهيم التربوية

بسم الله الرحمن الرحيم

وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ
الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ

الأنبياء: ٧٣

الإمام السجاد عليه السلام

والمفاهيم التربوية

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٣ هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه أجمعين محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

بالرغم مما عاناه الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجاد عليه السلام في مقتبل عمره الشريف بعد أن شاهد أقسى جريمة عرفها التاريخ الإسلامي وعاش مأساة طف كربلاء وهو شأن لا يمكن أن يتحمله إنسان عادي وقد يصيبه اليأس والانطواء.. لكنه بعد أن لمس بشاعة تلك ا لجريمة ورأى ما جرى على أبيه الإمام الحسين عليه السلام وأخوته وأصحابه ونساء أهل البيت وأطفالهم من تقتيل وتشريد وسبي، ما زاده ذلك إلا إصرارا على إكمال رسالة أبيه والنهوض بأعباء الأمة وتحمل مهام الإمامة، فإيمانه وصلابته نابعة من صميم الرسالة التي أرادها الله أن تكون للنبي الأعظم محمد ! والأئمة من بعده.

إن إمامنا السجاد لم يكن ذلك الشخص الذي يحقد على أمة قتلت خامس أصحاب الكساء ولم يكن من الذين يتعاطون المعاملة السيئة بالمثل.. فكان يحرص على لملمة الشتات الذي

أصاب المجتمع وأخذ يزرع فيهم مكارم الأخلاق وتصحيح العقائد ومحاربة كل ما ينخر في جسد الأمة ولم يتوقف الإمام عند ذلك الحد بل كانت معاملته لأعدائه فيما بعد في غاية السمو الأخلاقي ليكون عمله داعياً لأخلاق أهل البيت بالعمل لا باللسان فقط فكان ذلك أبلغ درس لنا جميعا، ولا غرابة في ذلك فالإمام السجاد هو حفيد مَن قال فيه الله عز وجل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ .

الإمام السجاد عليه السلام في كربلاء

عندما كان علي بن الحسين عليه السلام بطف كربلاء أنهكه المرض حتى أصبح طريح الفراش، روى عنه أبو مخنف أنه قال[١]: إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني، اعتزل أبي في خباء له وعنده «جون» مولى أبي ذر الغفاري يعالج له سيفه ويصلحه وسمعته يقول:

يا دهر أف لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب وطالب قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل

وكلحي سالك سبيل ... ما أقرب الوعد من الرحيل

لما سمعت هذه الكلمات المؤثرة في نفسي خنقتني العبرة، ولزمت السكوت وأيقنت أن البلاء واقع لا محالة، أما عمتي زينب عليها السلام فإنها لما سمعت ما سمعت لم تملك نفسها أن وثبت حتى انتهت إليه ونادت بأعلى صوتها: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة اليوم، ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن يا خليفة الماضين وثمال الباقين، فنظر إليها أبي وقال: يا أخية لا يذهبن بحلمك الشيطان وأوصاها بالصبر وحفظ العيال.

(١) راجع طبقات ابن سعد.

وفي اللحظات الأخيرة من حياة أبيه دخل عليه وأوصاه قبيل وفاته بوصاياه وسلمه مواريث النبوة وكانت آخر وصية أوصاه بها: يا بني أوصيك بما أوصى به جدك رسول الله علياً حين وفاته وبما أوصى به جدك علي عمك الحسن وبما أوصاني به عمك، إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله، ثم ودعه ومضى إلى المعركة الأخيرة التي استشهد فيها.

في الكوفة

ولما أدخل على ابن زياد لعنه الله قال له: من أنت؟ قال: أنا علي بن الحسين، فرد عليه بقوله: أليس قد قتل الله علي بن الحسين، فأجابه الإمام: كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس، فقال ابن زياد: بل الله قتله، فقال الإمام: الله يتوفى الأنفس حين موتها. فغضب ابن زياد وقال: أبك جرأة على رد جوابي، وأمر جلاوزته بقتله، فتعلقت به عمته زينب واعتنقته وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا ما سفكت والله لا أفارقه فإن أردت قتله فاقتلني معه، فتركه، ثم كتب يزيد بن معاوية إلى عبيد الله بن زياد يأمره بإرسال رأس الحسين ورؤوس القتلى مع السبايا إلى الشام، أرسلهم إليه مع مخفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن، وجماعة من جنده، وكان كما يصفه

الرواة مقيداً بالحديد، ولما بلغوا بهم الشام خرج أهلها إلى استقبالهم بأبهى مظاهر الزينة والفرح.

في الشام

جاء في البحار عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: خرجت إلى بيت المقدس، فلما توسطت الشام فإذا بمدينة مطردة الأنهار كثيرة الأشجار وقد علق أهلها الستور والحجب وهم فرحون، والنساء تلعب بالدفوف والطبول، فقلت في نفسي أرى لأهل الشام عيداً لا نعرفه، فأقبلت على القوم وقلت لهم: يا قوم ألكم بالشام عيد لا نعرفه، فقالوا: يا شيخ نظنك غريباً، فقلت لهم: أنا صاحب رسول الله ﷺ سهل بن سعد الساعدي وقد رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه، فقالوا: يا سهل ما أعجبك إن السماء لتمطر دماً والأرض لتنخسف بأهلها، فقلت لهم ولم ذاك: فقالوا: هذا رأس الحسين بن علي يهدى من أرض العراق إلى يزيد بن معاوية، فقلت: واعجباه رأس الحسين والناس يفرحون كما أرى، من أي باب يدخل؟ فأشاروا إلى باب يقال له باب الساعات، فبينما نحن في الحديث وإنا بالرايات يتلو بعضها بعضاً، وفارس بيده رمح منزوع السنان عليه رأس الحسين عليه السلام من أشبه الناس وجهاً برسول الله ﷺ ووراءه نسوة على جمال

بغير وطاء فدنوت من أولاهن وقلت: من أنت؟ قالت: أنا سكينة بنت الحسين عليه السلام. فقلت لها: ألك حاجة إلي؟ أنا سهل بن سعد ممن رأى جدك رسول الله ﷺ، قالت: يا سهل قل لصاحب هذا الرأس أن يتقدم أمامنا حتى يشتغل الناس بالنظر إليه عن النظر إلى حرم رسول الله ﷺ ففعل وتم له ذلك. ثم دعا يزيد أشراف الشام ووجوهها وأجلسهم حوله وأمر بإدخال الإمام زين العابدين عليه السلام والرؤوس والسبايا فأدخلوهم عليه مربطين بالحبال، فقال له علي بن الحسين عليه السلام: أنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله ﷺ لو رآنا على مثل هذه الحالة، فلم يبق أحد ممن كان حاضراً إلا بكى.

التفت يزيد إلى علي بن الحسين عليه السلام وقال: أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت، فقال علي بن الحسين عليه السلام: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور، فقال له يزيد: ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير.

فقال له الإمام زين العابدين عليه السلام: يا ابن معاوية وهند وصخر لم تزل النبوة والأمرة لآبائي وأجدادي من قبل أن تولد، ولقد

كان جدي علي بن أبي طالب في بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله ﷺ وأبوك وجدك في أيديهم راية الكفار، ويلك يا يزيد لو تدري ما صنعت وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيته عليهم السلام لهربت في الجبال وافترشت الرماد ودعوت بالويل والثبور أبشر بالخزي والندامة إذا اجتمع الناس ليوم الحساب.

وروى الرواة أن يزيد بن معاوية أمر أحد أنصاره من المرتزقة عنده أن يصعد المنبر وينال من علي والحسين والحسن عليهم السلام ويثني على معاوية فصعد الخطيب المنبر وأفاض في ذلك على معاوية ونال من علي والحسن والحسين عليهم السلام، فقال له الإمام السجاد عليه السلام: ويلك أيها المتكلم أتشتري مرضاة المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار، ثم التفت إلى يزيد وقال: أتسمح لي أن أصعد هذه وأتكلم بكلمات فيها لله رضا ولهؤلاء الجلوس أجر وثواب، فلم يأذن له يزيد بذلك. فقال له من في المجلس: ائذن له يا أمير لنسمع ما يقول، فرد عليهم يزيد بقوله: إذا صعد المنبر لا ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقيل له: وما قدر ما يحسن هذا الغلام، فقال كما يزعم الرواة: إنه من أهل بيت زقوا العلم زقاً، فلم يزالوا حتى أذن له فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال عليه السلام:

أيها الناس لقد أعطينا ستاً وفضلنا بسبع، أعطينا: العلم

والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة وفضلنا بأن النبي المختار ﷺ منا، والصديق منا، والطيار منا، وأسد الله وأسد رسوله منا والسيدة الزهراء منا وسبطا هذه الأمة منا ثم تابع قائلاً:

«أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى أنا ابن من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج البيت الحرام ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا، أنا ابن من أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من سعى به جبريل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلى بملائكة السما، أنا ابن من أوحى الجليل إليه ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى وعلي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله ﷺ بسيفين وبايع البيعتين وطعن برحمين وهاجر الهجرتين وقاتل ببدر وحنين ولم يكفر بالله طرفة عين... ولم يزل يقول ويعدد أنا أنا... مآثر جديه رسوله الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وأبيه أبي عبد الله الحسين عليه السلام ويذكر ما جرى في طف كربلاء حتى ضج الناس جميعاً

بالبكاء والنحيب حتى خشي يزيد أن ينتفض أهل الشام عليه فأمر المؤذن بالأذان ليقطع حديث الإمام السجاد عليه السلام، فلما قال المؤذن: الله أكبر قال علي عليه السلام: لا شيء أكبر من الله، ولما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال الإمام عليه السلام: شهد بها لحمي ودمي وبشري وشعري، ولما قال: أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله، التفت علي بن الحسين إلى يزيد بن معاوية وقال: محمد هذا جدي أم جدك؟ فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته؟!

وأضاف الراوي أنه كان في مجلس يزيد حبر من أحبار اليهود فقال ليزيد: من هذا الغلام؟ فقال: هو علي بن الحسين، وسأله اليهودي عن جده وأبيه وأمه فأخبره بنسبه حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اليهودي: يا سبحان الله لقد قتلتم ابن بنت نبيكم بهذه السرعة بئس ما خلفتموه في ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً من صلبه لظننا أنا كنا نعبده من دون الله، وأنتم قد فارقتم نبيكم بالأمس ووثبتم على ابنه فقتلتموه فسوأة لكم من أمة.

ويظهر مما تقدم أن الإمام السجاد عليه السلام هو أول من أسس المنبر الحسيني عندما ارتقى تلك الأعواد وخطب خطبته التي استنكر فيها أبواق الباطل بزجره الشخص الذي افترى على أهل البيت عليهم السلام إرضاءً للطغاة فوقف لا يخاف في الله لومة

لائم يبين للناس مَن هؤلاء الأسارى كاشفا لهم زيف الادعاء الأموي فكانت خطوته هذه ثورة فكرية وموضحا من خلالها مَن هم أصحاب الحق وعرّف الناس هوية المعتدي والمظلوم.

تربية الأمة

بعد انتهاء أحداث كربلاء وما تبعها من آلام وآمال عرف الإمام السجاد عليه السلام ضرورة إعادة تنظيم الصفوف ابتداءً من إعادة بناء الإنسان وتهيئة النفوس لضمان التفاف الناس حول أهل البيت عليهم السلام فكريا، فشرع في بث المفاهيم الأخلاقية والتربوية، وأدلى عليه السلام بالكثير من التعاليم القيمة الرفيعة التي تدل على خبرة كاملة لواقع الحياة وعمق بعيد في شؤونها وشجونها؛ كما يتضح من تعاليمه الحكيمة خبرته الواسعة بأحوال الناس وأمورهم ومعاشهم وكل ما يتعرضون له من أمراض نفسية وسياسية ودينية وفيما يلي بعض ما أثر عنه:

ذم التكبر:

التكبر ظاهرة سيئة لأنها باب لكل شر ومصدر لكل رذيلة لذلك ذم الإمام عليه السلام التكبر واستهجن أفكار المتكبر الذي يرى أن غيره لا يستحق الحياة الكريمة، ومن ثم يقوم بالظلم والاعتداء

على الناس، يقول عليه السلام: «عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة».

فالمتكبر على الناس الفخور بنفسه، لو تأمل ذاته قليلاً ونظر إلى بداية تكوينه نطفة، ثم إلى نهاية مصيره، جيفة، لما تكبر على الناس بماله أو بنيه! ليته تذكر قول الإمام علي عليه السلام: «إن لم يكونوا إخوة لك في الدين فهم أسوة لك في الخلق» أو تذكر قول الله عز وجل:

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (١).

المتكبرون صموا آذانهم عن قول الله تعالى رب العرش العظيم:

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (٢).

أي لا تمشِ في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض بدوسك وشدة وطئك مهما شمخت بأنفك، فإنك ضعيف ضعيف وقصير قصير لن تبلغ الجبال طولاً!

فاعرف نفسك، وقدّر قدرك وزن الأمور بميزان العقل المتنور بنور الإيمان وزيت الحكمة وعبق الرحمة وحسن الإدراك والتقدير.

فالله تعالى فاطر السموات والأرض هو العزيز الحكيم ولا يحب

(١) سورة الشعراء: الآية٨٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية٣٧.

كل مختال فخور قال تعالى:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١).

فالمتكبر يكرهه عباد الله في الدنيا ويكرهه الله في الآخرة، فهو خاسر الدارين لذلك عد التكبر في الإسلام من الصفات الذميمة التي تفسد المجتمع الإنساني وتورث الفرقة والبغضاء.

التحذير من الذنب:

قال عليه السلام: «إياك والابتهاج بالذنب، فإن الابتهاج بالذنب أعظم من ركوبه».

بعض الناس يخطئون مع الآخرين من أهلهم أو أصحابهم أو جيرانهم لكنهم بعد وقوع الخطأ تؤنبهم نفوسهم فيتراجعون عن خطئهم ويعتذرون لسوء فعلتهم.

والبعض الآخر يرتكبون الأخطاء الكبيرة والذنوب الفادحة ثم يفتخرون بما كسبت أيديهم من الآثام ويتباهون بذنوبهم بلا خجل ولا حياء.

هؤلاء قد يكونون من أصحاب السلطة أو الجاه أو أصحاب

(١) سورة لقمان: الآية١٨.

الثروات الطائلة فلا يأبهون لانتقاد الناس لهم ولا يحترمون حقوق غيرهم، لأنهم يتوهمون أن الجميع بحاجة إليهم وإلى خدماتهم! وإننا نجد منهم الكثير في حياتنا اليوم وقد نجد حولهم أنصاراً يحفون بهم ويسترون عليهم عيوبهم، وهم من طينتهم لا يهمهم سوى مصالحهم الشخصية ولذاتهم القريبة المنال.

هؤلاء الفئة المخربة في المجتمع، حذرهم الإمام عليه السلام من الابتهاج بذنوبهم لأن الابتهاج بالذنب أعظم من ركوبه. وبعد هذا التحذير عمد عليه السلام إلى تعداد الذنوب التي توجب سخط الله وعذابه فحذر منها ليكون الإنسان في سلامة من دينه وآخرته.

التعريف بنتيجة الذنوب:

قال عليه السلام: «الذنوب التي تغير النعم البغي على الناس، والزوال عن العادة في الخير، واصطناع المعروف، وكفران النعم وترك الشكر» قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

(١) سورة الرعد: الآية١١.

فالبغي على الناس من الذنوب التي تغير النعم والذنوب التي تورث الندم، قتل النفس التي حرم الله، قال تعالى في قصة قتل قابيل لأخيه هابيل وعجزه عن دفنه: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾[1].

لقد ترك صلة القرابة والرحم طمعاً بهذه الدنيا الفانية وترك الوصية ورد المظالم وترك الصلاة ومنع الزكاة حتى يحضر الموت «فلات ساعة مندم».

والذنوب التي تنزل النقم: عصيان العارف، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخرية بهم، والذنوب التي تدفع النعم إظهار الافتقار، والنوم على العتمة[2]، وعن صلاة الغداةواستحقار النعم وشكوى المعبود.

والذنوب التي تهتك العصم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والذنوب التي تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. والذنوب التي تديل الأعداء: المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور، وإباحة

(١) سورة المائدة: الآية٣١.

(٢) العتمة هي وقت صلاة العشاء.

المحظور، وعصيان الأخيار، واتباع الأشرار. والذنوب التي تعجل الفناء: قطيعة الرحم، واليمين الفاجرة، والأقوال الكاذبة والزنا، وسد طرق المسلمين، وادعاء الإمامة بغير حق.

والذنوب التي تقطع الرجاء: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعد الله.

والذنوب التي تظلم الهواء السحر والكهانة، والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر، وعقوق الوالدين.

والذنوب التي تكشف الغطاء: الاستدانة بغير نية الأداء، والإسراف في النفقة على الباطل، والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام وسوء الخلق، وقلة الصبر، واستعمال الضجر والاستهانة بأهل الدين.

والذنوب التي ترد الدعاء: سوء النية وخبث السريرة والنفاق مع الإخوان، وترك الصديق بالإجابة وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرب إلى الله عز وجل بالبر والصدقة، واستعمال البذاء والفحش في القول الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة وظلم اليتيم والأرملة وانتهار السائل ورده بالليل[1].

(١) معاني الأخبار للصدوق، ص٧٨.

لقد حذر الإمام عليه السلام من اقتراف هذه الذنوب على اختلاف أنواعها ودرجاتها، والجرائم التي توجب انحراف الإنسان في سلوكه وتبعده عن خالقه، وما ينتج عن ذلك من آثار وضيعة ومضاعفات سيئة في الدنيا والآخرة.

والحقيقة أن هذا الحديث وأمثاله هو من المناجم الخصبة في التربية النفسية والسلوك الاجتماعي وتنظيم الحياة في توازنها وعدالتها، وتعمل على تحقيق الغاية في إصلاح الفرد وإصلاح المجتمع، سيما وأن الإمام عاش في عصر تسوده الانحرافات في الدين والأخلاق والآداب، ويسوسه حكام ظالمون طغاة لا يفقهون من الدين إلا اسمه ولا يعرفون من الحق إلا رسمه، فكان من واجب الإمام السجاد عليه السلام أن يقوم بدوره الإصلاحي ليقوّم الاعوجاج ويصلح ما أفسده الأمويون في رسالة جده يريد أم يكمل الطريق الذي رسمه والده سيد الشهداء عليه السلام.

عدالة الإنسان:

إن اكتشاف المؤمنين أمر لازم وضروري في نظر الإمام السجاد عليه السلام وفي أيامنا هذه يرى الإنسان نفسه في خضم معارك طاحنة تخوضها الحركات والتيارات السياسية والاجتماعية متآمرة

على الإسلام حيث تسيَّر بطرق خبيثة أقل ما تتصف به اللؤم والدهاء.

في هذا العالم اليوم تفتقد الشخصية الإنسانية صفاءها ونقاءها وطهرها، فقد كثر الرياء وتغشى النفاق، وذهبت نصيحة الرسول الأكرم ﷺ طوبى لمن تساوت سريرته وعلانيته» أدراج الرياح.

في أيامنا هذه أصبحت المسؤولية ثقيلة على عاتق المؤمنين حيث أضحى أول همهم معرفة من يحيطون بهم معرفة كاملة حتى تتوافر الثقة فيما بينهم ثم بعد ذلك يستطيعون أن يعملوا ويجاهدوا في سبيل الله بكل ثقة وطمأنينة وإخلاص.

فكيف يمكن أن نتعرف على المؤمنين المخلصين؟ وكيف نكتشف المندسين المشبوهين؟ هذا ما يبينه لنا الإمام زين العابدين عليه السلام في حديثه التالي حيث يوضح لنا فيه العلامات المميزة لمن آمن واعتقد بالإسلام..

قال عليه السلام: «إذا رأيتم الرجل قد حسن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرنكم، فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها لضعف نيته ومهانته وجبن قلبه فنصب الدين فخالها، فهو لا يزال يختل الناس

بظاهره فإن تمكن من حرام اقتحمه، وإذا وجدتموه يعف عن المال الحرام فرويدا لا يغرنكم فإن شهوات الخلق مختلفة فما أكثر من ينبو عن المال الحرام وإن كثر، ويحمل نفسه على شوهاء قبيحة فيأتي منها محرما، فإذا وجدتموه يعف عن ذلك فرويداً لا يغركم حتى تنظروا ما عقده عقله، فما أكثر من ترك ذلك أجمع، ثم لا يرجع إلى عقل متين، فيكون ما يفسده بجهله أكثر مما يصلحه بعقله، فإذا وجدتم عقله متينا فرويداً لا يغركم حتى تنظروا أمع هواه يكون على عقله؟ أو يكون مع عقله على هواه ؟ وكيف محبته للرئاسات الباطلة وزهده فيها فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة يترك الدنيا للدنيا، ويرى أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة، فيترك ذلك أجمع طلبا للرئاسة، حتى إذا قيل له: اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد، فهو يخبط خبط عشواء يقوده أول باطل إلى أبعد غايات الخسارة، ويمده ربه بعد طلبه لما لا يقدر عليه في طغيانه. فهو يحل ما حرم الله، ويحرم ما أحل الله، لا يبالي بما فات من دينه إذا سلمت له رئاسته التي قد يتقي من أجلها، فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم عذابا مهينا.

ولكن الرجل كل الرجل نعم الرجل هو الذي جعل هواه تبعا

لأمر الله، وقواه مبذولة في رضا الله، يرى الذل مع الحق أقرب إلى عز الأبد من العز في الباطل، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرائها يؤديه إلى دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد، وإن كثير ما يلحقه من سرائها إن اتبع هواه يؤديه إلى عذاب لا انقطاع له ولا يزول، فذلكم الرجل نعم الرجل، فبه فتمسكوا، وبسنته فاقتدوا، وإلى ربكم به فتوسلوا، فإنه لا ترد له دعوة، ولا تخيب له طلبة»[1].

استهدف هذا الحديث معرفة العدالة التي تعد من أجل الملكات النفسية لأن بها يتحرر الإنسان من سحر المادة ومغريات النفس وشهواتها، ويسمو فوق الطين إلى أعلى الدرجات وأنبلها، وبذلك لم يعد عليه أي سلطان من النزاعات الفاسدة كما يستهدف أيضاً أن معرفة الرجل العادل الكامل في ورعه وتقواه ينبغي أن تستند إلى امتحان دقيق وخبرة شاملة لا إلى نظرة خاطفة ورأي سريع، من هذه الصفات التي نستشفها من خلال هذا الحديث:

١. حسن السمت: ليس دليلاً كافياً على العدالة والتقوى والأناقة في المظهر ليست دليلاً على حسن الجوهر.

٢. إظهار الإصلاح: وهذا لا يعد دليلاً كافياً على عدالة المسلم،

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج٢ ص ٨٤

لأنه قد يكون خداعاً ورياءً،واتخذ الدين وسيلة لنيل مآربه وتحقيق أطماعه وشهواته بعد أن عجز عن الظفر بها بسائر الوسائل الأخرى.

٣. الامتناع عن المال الحرام: وهذا أيضاً ليس دليلاً على التقوى، فقد يرغم نفسه على ذلك ويحملها على تحقيق أغراضه الشخصية التي لا صلة لها بالدين أصلاً.

أما الوسائل التي يستكشف بها كمال الورع والثقة في الدين فهي:

١. اتباع أوامر الله، والانقياد الكامل لطاعته تعالى حيث توجه جميع طاقات المؤمن للحصول على مرضاة الله والتقرب إليه، فالرجل العادل هو العبد الصالح التقي الذي تنبعث عدالته عن فكر وتأمل وإيمان.

٢. الزهد في طلب الإمارات الباطلة لأن ذلك من أوثق الدلالات على العدالة والتقوى.

٣. أن يغلب عقل الإنسان شهواته وهواه.

صفات المؤمن والمنافق:

إن معرفة صفات كل من المؤمن والمنافق يقلل من الوقوع في الأخطاء الاجتماعية وبالتالي يمكن أن ينأى الإنسان بنفسه عن المشاكل، ولكن ما هي صفات المؤمن وما هي صفات المنافق؟

لقد بين الإمام السجاد عليه السلام صفات المؤمنين وصفات المنافقين قائلا:

«المنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر ولا يأتي، إذا قام للصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسي وهمه العشاء، ولم يصم، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر، والمؤمن خلط علمه بحلمه، يجلس ليعلم، وينصت ليسلم لا يحدث بالأمانة للأصدقاء، ولا يكتم الشهادة للبعداء، ولا يعمل شيئاً من الحق رياءً، ولا يتركه حياءً، إذا زكّى خاف مما يقولون: ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضره جهل من جهله»[1].

نستنتج من هذا الحديث أموراً عدّة عن المنافق وعن المؤمن، فمن صفات المنافقين:

١. المنافق يأمر بالمعروف ولا يأتي به، وينهى عن المنكر ولا

(١) بحار الأنوار، ج١٧، ص٣١٥. وسائل الشيعة، ج١١، ص٢٧٢. وتحف العقول، ص٢٨٠.

ينتهي عنه، لأنه لم يكن يؤمن بذلك من أعماق نفسه، فهو يأمر وينهى للخداع والنفاق ليوهم الناس بأنه من خيارهم.

٢. إذا قام للصلاة اعترض على تشريعها، كما أنه إذا ركع في صلاته هوى إلى الأرض، ربض، كالحيوان وأما سجوده فهو غير مستقر فيه، فمثله كمثل الطائر عند نقره الطعام.

٣. أشبه ما يكون بالبهيمة التي همها علفها، طعام ونوم وهو كذلك يصبح ويمسي ولا هم له سوى الطعام يعيش ليأكل وينام.

أما عن شخصية المؤمن وما تتحلى به من صفات فهي:

١. تتحلى شخصية المؤمن بعنصرين أساسيين: العلم والحلم، فهو عالم وحليم، ومن اجتمعت فيه هاتان الصفتان بلغ أعلى مراتب الكمال في حياته الشخصية والاجتماعية.

٢. إذا جالس الناس يتعلم منهم العلم والحكمة، ولا يجلس في مجالس اللهو والبطالة التي تحط من كرامته وتضيع وقته هدراً بلا فائدة.

٣. يحفظ لسانه، فإذا نصت لأحد فإنما ليسلم منه، ويأمن شره والاعتداء عليه. فلا يخوض في كل حديث؛ ولا يدخل في مواطن الشبهات متجنباً مجالسة الفاسقين.

٤. يحفظ السر ولا يفشيه لأحد حتى لأقرب الناس إليه إذا استؤمن على شيء كتمه.

٥. يعمل باقتناع وإيمان، فإذا قام بعمل لا يعمله رياءً وإنما خالصاً لوجه الله العلي القدير.

٦. إذا تحمل الشهادة يدلي بها ولا يكتمها مهما كانت النتائج.

٧. إذا نعت ببعض الأوصاف الشريفة فلا يغتر ولا يتعالى ولا يخاف أن لا يكون قد اتصف بذلك، بل يستغفر الله لمن أطلق عليه تلك الأوصاف.

٨. لا يهتم بمن جهله ولا يقيم له وزناً، لأن الحقيقة سوف تبان وتظهر للعيان.

هذه الصفات التي يتحلى بها المؤمن تدل على سمو ذاته، وكمال شخصيته، وعلو مكانته في الدنيا والآخرة.

أفضل الأعمال عند الله:

سئل الإمام عليه السلام عن أفضل الأعمال عند الله، فقال: «ما من عمل أفضل عند الله تعالى بعد معرفة الله، ومعرفة رسوله أفضل من بغض الدنيا، وإن لذلك شعباً كثيرة، وإن للمعاصي شعباً، فأول ما عصي الله به: الكبر، وهو معصية إبليس حيث أبى، واستكبر، وكان من الكافرين.

والحسد: وهو معصية ابن آدم حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء، وحب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الراحة، وحب الكلام، وحب العلو، وحب الثروة، فصرن سبع خصال، فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك... حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنيا بلاء..»[1].

الحقيقة التي تحف بنا وتتملكنا حبنا للدنيا وتهالكنا على مفاتنها ومغرياتها، فالأخطار التي يمنى بها الإنسان من سبب تهالكه على الدنيا التي تجر له الكثير من المعاصي والآثام، فنتخبط في شر عظيم، وفتن كبيرة وبلاء خطير. لذلك حذرنا الإمام عليه السلام من حب الدنيا وآفاتها الكثيرة التي منها: التكبر، الحسد، حب النساء، حب الرياسة، حب الراحة، حب الكلام: ويعني الكلام فيما لا يعني الإنسان ولا يهمه، حب العلو: يعني العلو على الآخرين والتكبر، حب الثروة: تجميع المال وتكديسه بأي طريقة.

هذه الآفات الفردية والاجتماعية قد جعلت الإنسان يسلك طرقات خطرة، ومنعطفات أغرقته في بؤرة من الآثام، وأعمت بصيرته عن رؤية الحق، فبات غريباً عن الإسلام، منبوذاً في مجتمعه وبين قومه.

(١) أصول الكافي: باب ذم الدنيا.

حقيقة الموت:

وصفه الإمام عليه السلام بالنسبة للمؤمنين والكافرين فقال: «الموت للمؤمن كنزع ثياب وسخة، وفك أغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأوطأ المراكب، وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل من منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظمها»[1].

وردت أحاديث كثيرة متواترة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام أن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فإذا حل الموت بالمؤمن فإنه يرى الأمر طبيعياً، ويجد بذلك الراحة الكبرى لأنه ينتقل إلى نعيم الآخرة، إلى جنة عدن، يتبوأ الفردوس حيث يشاء.

وأما الكافر فإذا حل الموت به فإنه يرى نفسه في ضيق شديد ويواجه الموت بحسرات وآلام وخوف لأنه ينتقل من الدنيا المليئة بالشهوات والتي كانت له كالجنة إلى سجن موحش وعذاب دائم.

الزهد:

سئل الإمام زين العابدين عليه السلام عن الزهد فأجاب: «الزهد عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع

(١) معاني الأخبار للصدوق، باب١٣٦.

أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا[1]، ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله قوله تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم»[2].

الحب في الله:

دعا الإمام عليه السلام المسلمين عامة إلى التحابب والمودة فيما بينهم خالصة لوجه الله تعالى لا يشوبها شائبة من شؤون المادة التي لا تلبث أن تزول وتتلاشى بوقت قريب، قال عليه السلام: «إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى مناد يسمعه الناس يقول: أين المتحابون في الله؟ فيقوم عنق من الناس، فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم عن العمل الذي جازوا به إلى الجنة، فيقولون: نحن المتحابون في الله، فيقولون: وأي شيء كان أعمالهم؟ فيقولون: كنا نحب في الله ونبغض في الله فيقولون لهم: نعم أجر العاملين»[3].

إن الحب في الله هو الحب الأصيل وهدفه في الحياة هو الهدف الشريف والمحب في الله عبد صالح يحب في الإنسان العمل

(١) أصول الكافي، باب ذم الدنيا.
(٢) سورة الحديد: الآية٥٧.
(٣) الكافي ج ٢ ص ١٢٦.

الصالح فلا يأبه لمصلحة دنيوية رخيصة ولا لغاية شخصية دنيئة يهدف من ورائها تحقيق أطماعه الخاصة.

والبغض في الله هو كذلك، بغض للانحراف عن الحق وبغض للجهل والضلالة، وبغض للظلم والظلامة، والمبغض في الله غايته التقويم والإصلاح حتى تستقيم الأمور المحقة وتنشر العدالة رايتها على كافة الربوع الإسلامية.

من هنا كان الحب في الله عاملاً موحداً يجمع بين قلوب المؤمنين ويوحد صفوفهم ضد أعداء الله، ويجمعون أمرهم حول هدف واحد يجمع ولا يشتت، ويوحد ولا يفرق لأنه ناشئ عن الإيمان العميق بالله تعالى.

التكافل الاجتماعي

كان الإمام عليه السلام يحث أصحابه وشيعته على المواساة فيما بينهم والإحسان إلى الآخرين لأن ذلك خير ضمان لوحدتهم واجتماع كلمتهم، وقد أثر عنه وعن الأئمة الأطهار الكثير من النصائح الرفيعة في هذا الشأن وهذه بعض منها: قال عليه السلام:

قضاء حوائج المؤمنين:

«من قضى لأخيه حاجة قضى الله له مائة حاجة، ومن نفّس عن أخيه كربه نفّس الله عنه كربه يوم القيامة بالغاً ما بلغت، ومن أعانه على ظالم له، أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الأقدام، ومن سعى له في حاجة حتى قضاها له فسرّ بقضائها، كان كإدخال السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن سقاه من ظمأ، سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن كساه من عري، كساه الله من إستبرق وحرير، ومن كساه من غير عري لم يزل في ضمان الله ما دام على المكسي من الثوب سلك، ومن كفاه ما أهمه أخدمه الله من الولدان، ومن حمله على راحلة بعثه الله يوم القيامة على ناقة من نوق الجنة يباهي به الملائكة، ومن كفنه عند موته كساه الله يوم ولدته أمه إلى يوم يموت، ومن زوجه زوجة يأنس بها، ويسكن إليها آنسه الله في قبره بصورة أحب أهله إليه، ومن عاده في مرضه حفته الملائكة تدعو له حتى ينصرف، وتقول: طبت، وطابت لك الجنة.. والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما في الشهر الحرام»[1].

يحفل هذا الحديث بتعاليم إنسانية رفيعة المستوى تدعو

(١) ثواب الأعمال، ص٨١.

المسلمين إلى التعاون والتضامن والمحبة، مما يمتن أواصر المودة والرحمة والتعاطف بينهم، ويعتبر هذا الحديث وأمثاله من العناصر الرئيسية في بناء التكافل الاجتماعي الذي أسسه الإسلام، فالمسلم أخ المسلم يشعر معه في أفراحه ويساعده في أتراحه ويعمل من أجل سعادته بكل ما يستطيع بالمال أو اليد أو اللسان وهو أضعف الإيمان.

مواساة الإخوان:

قال عليه السلام في المواساة والإحسان لضمان وحدة المسلمين:

«إن أرفعكم درجات وأحسنكم قصوراً وأبنية[1]، أحسنكم إيجاباً للمؤمنين، وأكثركم مواساة لفقرائهم، إن الله ليقرب الواحد منكم إلى الجنة بكلمة[2] طيبة يكلم بها أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسيرة ألف عام يقدمه، وإن كان من المعذبين بالنار، فلا تحتقروا الإحسان إلى إخوانكم، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره»[3].

في هذا الحديث الطيب حث الإمام عليه السلام المسلمين ليعملوا على مواساة الفقراء والإحسان إليهم، وذكر ما يترتب عليه من

(١) تفسير البرهان، ج١، ص٤٤. والقصور يعني في الجنة.
(٢) راجع سورة إبراهيم: الآية٢٤-٢٦.
(٣) تفسير البرهان، ج١، ص٤٤.

الأجر الجزيل عند الله، وعد من المواساة الكلمة الطيبة التي يقدمها الإنسان المسلم لأخيه المسلم، فإذا لم يكن لديه مالاً يساعد به المحتاجين فيمكن مساعدتهم بيده، وإذا تعذر عليه ذلك فباستطاعته مساعدتهم ومواساتهم بفكره، بكلمة طيبة تفيدهم وتهديهم وتطيّب خاطرهم، وقد عد هذا الأمر واجب شرعي على المسلمين.

الشعور بالآخرين:

قال الإمام عليه السلام:«من بات شبعاناً وبحضرته مؤمن جائع طاوٍ فإن الله تعالى يقول لملائكته: اشهدوا على هذا العبد، أمرته فعصاني، وأطاع غيري، فوكلته إلى عمله، وعزتي وجلالي لا غفرت له أبداً»[1].

في هذا الحديث تأكيد صريح على عاتق كل مسلم تجاه إخوانه في الإيمان، فعليه أن يشعر معهم في محنهم ومصائبهم وحرمانهم في مجتمعهم الظالم الذي كان يحكمه حكام طغاة.

كما يمكن أن نعد هذا الحديث وأمثاله مما أثر عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من العناصر الرئيسية في بناء التكافل الاجتماعي

(١) زين العابدين للقرشي عن عقاب الأعمال، ص٣٠.

الذي أسسه الإسلام، ليقضي بصورة جازمة على الفقر والحرمان في المجتمع الإسلامي.

ولم يكتف الإسلام بحثّ المسلمين على مساعدة إخوانهم في الدين، بل يحاسبهم على تقصيرهم إذا ما حصل، قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «من أطعم مؤمناً حتى يشبع، لم يدر أحد من خلق الله ما له من الأجر في الآخرة لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين.. وأضاف عليه السلام: «من موجبات المغفرة إطعام المسلم السغبان، ثم تلا قوله تعالى: (أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة»[1].

إن إطعام الجائع ودفع السغب عنه ضرورة إسلامية ملحة يسأل عنها الإنسان المسلم ويحاسب عليها، وبصورة خاصة إذا كان الفقير بحاجة ماسة إلى الطعام.

فمساعدة المعوزين توطد العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتحيي في نفوسهم المحبة، مصدر كل خير وعطاء، فالشعور بالمسؤولية يملي على المسلمين المؤمنين مساعدة إخوانهم وقضاء حوائجهم.

(١) سورة البلد: الآيات ١٢ - ١٤. والسغبان: الجائع.

المؤازرة:

حيث يحرص الإسلام كل الحرص على شد أزر المسلمين وتضامنهم صفاً واحداً لدرء الظلم عنهم والوقوف في وجه الظالمين، والمنحرفين، وليس لهم ذلك إلا بمساعدتهم لبعضهم البعض وسد حاجات إخوانهم في الإيمان مهما كانت المساعدات بسيطة، وفي ذلك قال الإمام السجاد عليه السلام:

«من أطعم مؤمناً من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمناً من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، وأيما مؤمن كسا مؤمناً من عري، لم يزل في ستر الله وحفظه ما بقيت منه خرقه»[1].

صلة الرحم:

دعا الإسلام إلى صلة الأرحام وحث المسلمين على العلم بها وحذر من قطيعتها وذلك لما يترتب عليها من التواصل والمحبة إذا وصلت، ومن المضاعفات السيئة إذا قطعت، والإمام السجاد عليه السلام حث على صلة الأرحام فقال: «من سره أن يمد الله في عمره، وأن يبسط له في رزقه، فليصل رحمه، فإن الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق تقول: يا رب صل من وصلني، واقطع من قطعني،

(١) راجع زين العابدين للقرشي، ص٨١.

فالرجل ليرى بسبيل خير إذا أتته الرحم التي قطعها فتهوي به إلى سفل قعر في النار..»[1].

لقد تواترت الأخبار عن الأئمة المعصومين عليهم السلام في الحث على صلة الأرحام، فالذي يصل رحمه يمد الله في عمره، ويزيد في رزقه ويكسب الأجر الجزيل في الدار الآخرة، وصلة الأرحام توجب تماسك المجتمع وشيوع المحبة والمودة والصفاء بين المسلمين، وذلك من أهم ما يدعو إليه الإسلام.

إن هذه المبادئ الإنسانية الرفيعة التي دعا إليها الإسلام ورفع شعارها تمثل الجوهر الحقيقي له، ولو طبقها المسلمون على واقع حياتهم لأصبحوا سادة الأمم وقادة الشعوب ولساد الأمن والأمان والسلم والسلام على الدنيا بأسرها.

الإسلام دين إنساني يراعي مصالح الإنسان في كل مكان ليعيش عيشة حرة كريمة، ويعمل على تنوير بصائر الناس ليكسبوا أجر الدارين الدنيا والآخرة، فهل يفقه المسلمون جوهر إسلامهم اليوم؟ وهل يعقلوا أن بعدهم عن الوحدة الإسلامية يعني بعدهم عن الخط الإسلامي الذي رسمه لهم النبي الأكرم في دعوته المباركة؟ إن عزة المسلمين تكمن في تعاونهم على البر والتقوى، وفي تآلفهم ورص صفوفهم صفاً واحداً ليستطيعوا

(١) الكافي للكليني ج٢ ص١٥٦.

الوقوف في وجه أعداء الله وأعداء الإنسانية عامة، وهذا أمر سهل جداً لو تنازلوا عن حبهم للمنصب وتعلقهم في هذه الدنيا الفانية.

من هنا كان نداء الإسلام لأهل الفضل وما يستحقون من خير وجزاء، ولهذا حثَّ الإمام السجاد عليه السلام أصحابه ودعاهم إلى إسداء الفضل وعمل المعروف إلى الناس كافة.

التحلي بمكارم الأخلاق:

قال عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس قبل الحساب، فيقال لهم: انطلقواإلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنة، فإذا سألوهم عما استحقوا ذلك، يقولون: كنا إذا جهل علينا حلمنا، وإذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسيء إلينا غفرنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي مناد: ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة، فتتلقاهم الملائكة ويسألونهم مثل الأول، فيقولون: صبرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معصية الله عز وجل، فيقولون لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي مناد: ليقم جيران الله عز وجل، فيقوم ناس، فيقال لهم: انطلقوا إلى الجنة فتسألهم الملائكة عما استحقوا ذلك، وما مجاورتهم لله عز وجل؟ فيقولون: كنا نتزاور في الله، ونتجالس في الله، ونتبادل في الله، فيقولون: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»[1].

يدعو الإمام عليه السلام في هذا الحديث الشريف المسلمين خاصة إلى إسداء المعروف إلى الناس عامة والتحلي بمكارم الأخلاق التي توجب رفع مستوى الإنسان إلى أرفع الدرجات، وبلوغه ذروة الشرف والكمال التي أرادها له رب العالمين.

قال الله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2].

والأمر بالمعروف حث عليه الإمام السجاد فقال عليه السلام: «التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي تقاه، فقيل له: ما تقاته؟ قال: يخاف جباراً أن يفرط عليه، أو أن يطغى»[3].

(١) تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص٤٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٠.
(٣) طبقات ابن سعد، ص٢١٣٥.

فكما نرى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادئ الإسلامية البارزة التي تبناها الإسلام بصورة إيجابية وذلك من أجل أن تسود العدالة الاجتماعية بين الناس، ويزول الظلم والطغيان عن عباد الله، فلا يبقى منكر ولا اعتداء على واقع الحياة العامة بين البشر، وقد تواترت الأخبار عن أئمة الهدى عليهم السلام على ضرورته ولزومه.

وقد ذكر الفقهاء في رسائلهم العملية شروط القيام بهذا الواجب الإسلامي الخطير والهام في بناء مجتمع إسلامي عظيم يعيش موفور الكرامة عزيز الجانب.

إلى الرفيق الأعلى

لقد أجهد الإمام نفسه إجهاداً كبيراً وحملها من أمره رهقاً من كثرة عبادته وعظيم طاعته، أجمع المؤرخون أنه عليه السلام قد قضى معظم حياته صائماً نهاره، قائماً ليله حتى وصل بعبادته وتهجده وتخضعه إلى درجة الفناء الكامل في الله.

في الوقت نفسه كانت تلاحقه ذكريات كربلاء المؤلمة، وما جرى لأبيه سيد الشهداء عليه السلام ولأهل البيت عليهم السلام من النكبات الكبيرة والخطوب المريرة، وهل بإمكانه أن ينسى كلما نظر إلى عماته

وأخواته فيتذكر فرارهن يوم الطف من خيمة إلى خيمة، ومنادي القوم ينادي: احرقوا بيوت الظالمين، كل هذه الذكريات الأليمة قد أثارت أشد الحزن في نفسه فيحزن ويذرف الدموع الحارة.

لقد بكى على أبيه عشرين سنة حتى قال له مولاه: إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. فقال عليه السلام: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة[1].

امتلك الإمام زين العابدين عليه السلام قلوب الناس وعواطفهم فتحدث الناس بإعجاب عن علمه وفقهه وسائر ملكاته، وكان السعيد من تشرف بمقابلته والاستماع إلى حديثه لذلك نراه قد تمتع بشعبية هائلة في عصره.

وقد شق ذلك على الأمويين وأخذ يقضّ مضاجعهم، فكان من أكبر الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك، روى الزهري أنه قال: «لا راحة لي، وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا»[2].

وقد صمم على اغتيال الإمام عليه السلام بأي طريقة، ولما آل إليه

(١) زين العابدين عليه السلام للمقرم، ص٣٦٣. عن الخصال، ج١، ص١٣١.
(٢) حياة الإمام الباقر عليه السلام ، ج١، ص٥١.

المُلك والسلطان بعث سماً قاتلاً إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسه للإمام ونفذ عامله ذلك[1]، فأخذ يعاني أشد الآلام وأقساها، وبقي على فراش الموت عدة أيام يشكو بلواه إلى الله تعالى، ويدعو لنفسه بالمغفرة والرضوان، وقد تزاحم الناس لتفقده وعيادته، وهو عليه السلام يحمد الله ويثني عليه أفضل الثناء على ما رزقه من الشهادة على يد شر البرية الظالمين الطغاة الذين كان همهم الدنيا الفانية.

وصيته لولده الإمام الباقر عليه السلام

عهد الإمام زين العابدين عليه السلام إلى ولده محمد الباقر عليه السلام بالإمامة، كما عهد إليه أيضاً بهذه الوصية القيمة فقال له: «يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة فقد قال لي: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله»[2].

وأوصاه بأن يتولى بنفسه غسله وتكفينه وسائر شؤونه حتى يواريه في مقره الأخير.

وانتقلت روحه الطاهرة إلى خالقها كما ترتفع أرواح الأنبياء

(١) الصواعق المحرقة، ص٥٣.
(٢) زين العابدين للقرشي، ص٤٢١.

والمرسلين، تحفها بإجلال وإكبار ملائكة الله، وألطافه تعالى لقد ارتفعت تلك الروح العظيمة إلى خالقها بعد كفاح مرير وسمت بألطاف الله وتحيته تاركة إضاءات منيرة على مفارق كل الدروب في هذه الدنيا بعلومها ومعارفها وعبادتها وتجردها من كل نزعات الميول الشخصية.

لقد عمل الإمام عليه السلام طول حياته في سبيل الله فأحب في الله وأبغض في الله وجاهد من أجل رفع كلمة الله بكل ما أوتي من قوة مباركة وعطاء خير.

المثوى الأخير

نفذ الإمام الباقر الوصية عليه السلام بتجهيز جثمان أبيه، فغسل جسده الطاهر ورأى مواضع سجوده كأنها مبارك الإبل من كثرة سجوده لله تعالى، ونظر إلى عاتقه فكأنه مبارك الإبل أيضاً من أثر الجراب الذي كان يحمله على عاتقه ويوزعه على الفقراء والمحرومين[1] وبعد الفراغ من غسله أدرجه في أكفانه وصلى عليه.

وصل الجثمان الطاهر إلى بقيع الغرقد وسط هالة من التكبير والتحميد، فحفروا له قبراً بجوار قبر عمه الإمام الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله والذي استشهد بالطريقة نفسها على يد معاوية بن أبي سفيان، وأنزل الإمام الباقر عليه السلام جثمان أبيه إلى المقر الأخير، فإنا لله وإنا إليه راجعون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والعاقبة للمتقين.

نسأل الله تعالى أن يحيينا حياة محمد وآل محمد ويميتنا مات محمد وآل محمد وأن يحشرنا معهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

(١) حياة الإمام محمد الباقر، ج١، ص٥٤.

الفهرس

المقدمة.....٣

الإمام السجاد عليه السلام في كربلاء ٥

في الكوفة.....٦

في الشام.....٧

تربية الأمة.....١٢

التكافل الاجتماعي.....٢٩

إلى الرفيق الأعلى.....٣٨

وصيته لولده الإمام الباقر عليه السلام.....٤٠

المثوى الأخير.....٤٢

بالرغم مما عاناه الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام في مقتبل عمره الشريف بعد أن شاهد أقسى جريمة عرفها التاريخ الإسلامي وعاش مأساة طف كربلاء وهو شأن لا يمكن أن يتحمله إنسان عادي وقد يصيبه اليأس والانطواء.. لكنه بعد أن لمس بشاعة تلك الجريمة ورأى ما جرى على أبيه الإمام الحسين عليه السلام وأخوته وأصحابه ونساء أهل البيت وأطفالهم من تقتيل وتشريد وسبي، ما زاده ذلك إلا إصرارا على إكمال رسالة أبيه والنهوض بأعباء الأمة وتحمل مهام الإمامة، فإيمانه وصلابته نابعة من صميم الرسالة التي أرادها الله أن تكون للنبي الأعظم محمد والأئمة من بعده.

إن إمامنا السجاد لم يكن ذلك الشخص الذي يحقد على أمة قتلت خامس أصحاب الكساء ولم يكن من الذين يتعاطون المعاملة السيئة بالمثل.. فكان يحرص على لملمة الشتات الذي أصاب المجتمع وأخذ يزرع فيهم مكارم الأخلاق وتصحيح العقائد ومحاربة كل ما ينخر في جسد الأمة.

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

زورونا www.aljawadain.org

راسلونا fikriya@aljawadain.org